تحديات الأنساق الاجتماعية للعولمة على الشباب من منظور إعلامي - قراءات نقدية -

تاريخ الاستلام 2018/01/17 تاريخ القبول 2018/05/08 تاريخ النشر 2018/06/12

الدكتور[1]: اسعيداني سلامي
أستاذ محاضر-أ-
جامعة محمد بوضياف المسيلة-الجزائر-
saidanisalami@gmail.com
الدكتورة[2]: ليلى فقيري
أستاذ محاضر-أ-
جامعة محمد بوضياف المسيلة-الجزائر-
Leila.feguri@gmail.com

الملخص

نود أن نشير في هذا المقال إلى أن تداعيات العولمة على الأنساق الاجتماعية ومجالات تأثيرها (الاجتماعية، اللغوية، الثقافية، الانتماء، التربوية والمعرفية) على الشباب تعمل كعناصر متفاعلة باعتبارها متغيرات متكاملة ومتفاعلة جدلياً في إطار عام (وهو ظاهرة العولمة)، وتسعى هذه الورقة العلمية إلى بحث تداعيات وتأثيرات العولمة على الشباب العربي الذي يشكل أكثر من 40٪ من سكان الوطن العربي البالغ تعداده 290 مليون.

- الكلمات المفتاحية: التحديات، النسق الاجتماعي، العولمة، الشباب، المنظور الإعلامي.

Challenges of the social patterns of globalization on youth from an information perspective Critical readings

Abstract:

In this article, we would like to point out that the implications of globalization on social patterns and their spheres of influence (social, linguistic, cultural, educational, and cognitive) on young people act as interactive elements as integrated and interactive variables within the framework of globalization. To discuss the repercussions and effects of globalization on the Arab youth, which accounts for more than 40% of the population of the Arab world of 290 million.

-key words: *challenges, social structure, globalization, youth, media perspective*

مقدمة

تم تبلور ظاهرة العولمة ومؤسستها وتقنينها على مدى الحقبتين الماضيتين من خلال عدد من السياسات التي من شأنها أن تؤدى إلى تحقيق الهدف الاستراتيجي لها، وهو إعادة تشكيل النظام الاقتصادي لجميع الدول وتحويلها إلى اقتصاد السوق بهدف إدماجها جميعاً في إطار السوق العالمي، ولتحقيق هذا الهدف الاقتصادي، تشمل العولمة تجليات وآليات ذات أبعاد سياسية واجتماعية وثقافية وعسكرية، تنعكس على الشعوب العربية نساء ورجالا من خلال تبنى الحكومات لسياسات وبرامج العولمة وتحويلها إلى سياسات عامة وطنية يؤثر تطبيقها على حياة المواطنين نساء ورجالا، سلبا وإيجابا .

وعلى الرغم من نجاح هذه الظاهرة في السيطرة على تشكيل وصياغة معظم المجتمعات على مستوى العالم، إلا أنها مازالت ظاهرة خلافية يتصاعد الجدل والصراع بين معضديها ومعارضيها يوما بعد يوم كما أن هناك كثير من التباين في الرؤى في داخل كل من المعسكرين .

ويرتبط الخلاف إلى حد كبير بتحديد ماهية وآليات الظاهرة، ومن ثم الخطاب الأيديولوجي المساند لها، والذي يؤدى إلى إيجاد استراتيجيات مختلفة للتعامل مع العولمة.

1. تحديات الأنساق الاجتماعية التي تواجه الشباب

1.1. التحديات اللغوية التي تواجه الشباب

تواجه اللغة العربية جملة من التحديات التي تعاني من أجلها نوعاً من العزلة عن الحياة اللغوية.

وأول هذه التحديات عزلة اللغة عن الاستعمال العام، حيث حلت اللهجات العامية محلها وأخذت مكانها في ألسنة الناطقين العرب ونتج عن ذلك نشوء مجموعة اللهجات المحلية التي تختلف من بلد لآخر داخل القطر الواحد، فإذا كان عدد البلاد العربية اثنتين وعشرين دولة هي مجموع الأعضاء في جامعة الدول العربية، فإن لدينا اثنتين وعشرين لهجة عامة، تتفرع عنها لهجات بلدية تتميز كل منها عن الأخرى ببعض الخواص الصوتية، وعندنا في مصر ـ مثلاً ـ لهجة مشتركة بين جميع المواطنين، ولكن صعيد مصر (الوجه القبلي) له لهجته الخاصة المتميزة، كما أن للدلتا لهجتها المتميزة.

وقد يكون لمواطني الإسكندرية خواصهم اللهجية التي لا تجري على غير ألسنتهم؛غير أن مجموع المواطنين في مصر يتفاهمون بالعامية المشتركة التي تتبناها أجهزة الإعلام، وتنشر بها رسالتها، سواء في ذلك الإذاعة والتلفزيون وأفلام السينما؛وهكذا الحال في كل قطر عربي، غير أنهم يقتربون من اللغة الفصحى عند مستوى ثقافي معين، فيخلطون مستوى الفصحى بمستوى العامية، وتنشأ عن

ذلك لغة (فصح عاميه)، أي خليط من الفصحى والعامية، وهذا الخليط يختلف نسبياً من دولة إلى دولة.

وإن كانت كمية الاختلافات قليلة، نظراً إلى انتشار وسائل الإعلام التي تستخدم في أحيان كثيرة المستوى (الفصح عاميه)؛ولسنا نستطيع أن نتجاهل عاملاً خطيراً من بين عوامل عزل الفصحى، وهو استعمال المشتغلين بالتدريس في المدارس العامة (حتى نهاية المرحلة الثانوية) للهجات، أو لمستوى رديء من الفصح عاميه.[1]

وقد نتساءل بعد ذلك عن حقيقة (الفصحى) ما هي ؟ وغاية ما يمكن أن نقوله هو : أنها مستوى من الأداء اللغوي ملتزم بالنمط القرآني، حفاظاً على شكل الكلمة العربية وزناً ومعنى، ووصلاً ووقفاً وضبطاً والتزاماً بالمعجم الذي يشير إلى الجائز والممتنع، مع عدم تجاهل ما أوصت به المجامع العربية اللغوية؛والقرآن الكريم هو دستور اللغة الفصحى المعاصرة، ولاسيما في أدائه المتميز، فيما عدا الالتزام بأحكام تجويده.

ونحن بهذا التعريف لا نشق على الناطقين بالفصحى، لأن حفظ القرآن يطلق الألسنة الحافظة (العربية) بنمط الأداء القرآني دون أدنى مشقة؛ وللقرآن - كما نعلم - دور في الحفاظ على الفصحى والإبقاء عليها رغم كل عوامل الإحباط التي تحوطها، حتى لقد كادت أن تتحول إلى لغة خاصة، أو بالأحر لغة أرستقراطية، لا يستعملها إلا من تتوفر فيهم مواصفات أدبية وعقدية معينة.

ولعل من عجائب القرآن أن تقوم بحفظ وإتقان أدائه ألسنة أعجمية لم تذق حرفاً عربياً، ومع ذلك نجد أطفالاً وشباباً، ذكوراً وإناثاً يحفظون عن ظهر قلب، بل ويجيدون أداءه بأحكام التجويد، وهم لا يفهمون جملة واحدة من جمله، أو آية من آياته ؛قد شاهدت في ماليزيا مسابقة لحفظ القرآن الكريم وإتقان أدائه، واستمعت إلى شابة في ربيع العمر تقلد أحد قراء مصر المشهورين، وهي مع ذلك لا تعرف شيئاً من العربية، إنني أزعم أن هذا التجلي لم يتحقق لنص في أية لغة من لغات العالم ما عدا القرآن، رغم ضخامة حجمه، ودقة أحكامه.

ويجد ربنا الإشارة إلي أنه قد يكون لمواطني البلدان العربية خواصهم اللهجية التي لا تجري على غير ألسنتهم؛وأخطر من ذلك تأثيراً استخدام أساتذة الجامعات في الكليات التي تهتم بتعليم اللغة العربية للعامية (اللهجات المحلية)، وليس ذلك من باب المبالغة أو التجني، فنحن لا ننكر وجود أساتذة يحترمون اللغة الفصحى، ويلتزمون بأدائها في محاضراتهم. وفي مقابل هؤلاء نجد بعض من يدرسون مادة (النحو العربي) ويستخدمون اللهجات العامية في مخاطبة الطلاب بقواعد النحو وسائر علوم العربية.

فإذا كانت هذه هي الحال في كليات الآداب، وبخاصة في علوم العربية، فإن الحال أسوأ في سائر الكليات التي تتخصص في الفنون والعلوم المختلفة، بحيث لا يسمح للعربية أن تدلف إلى قاعات المحاضرات والبحوث. وربما جاز لنا أن نقول: إن جماهير الأساتذة في علوم الهندسة والطب والحقوق والعلوم والزراعة والفنون التشكيلية، والمواد التربوية وغيرها من الكليات الأخرى هؤلاء جميعاً لا يعرفون شيئاً من قواعد العربية الفصحى، وممارسة الحديث بها؛وهذا تصوير غير مخل للوضع الذي تواجهه الفصحى في أوطانها العربية، فهي لا تجد لخطواتها مكاناً يسعها، اللهم إلا في بعض خطب الجمعة ـ على قلة ـ فأما مجالات الخطاب الجماهيري، كمجالس النواب والشورى والمجالس القومية المتخصصة فقد أخلصت ولاءها للعامية، وخاصمت الفصحى قولاً واحداً.

2.1. التحديات الثقافية:

" تلك الأمور والأوضاع والقوى الطبيعية والإنسانية والاجتماعية ، التي تعيق الشباب عن تحقيق أهدافهم القريبة والبعيدة ، أو تسعى إلى الهيمنة عليهم في تعاملهم مع الوجود بجوانبه المختلفة ، مما يؤدي لمنعهم عن تحقيق الغاية التي خلق الإنسان من أجلها".[2]

وهي تحدياتٌ تكمنُ في شخصية الشباب ، ولها علاقة بالبيئة الداخلية للمجتمع ، وهي تحديات متعددة وقد تختلف باختلاف هذه البيئة ، وأهم هذه التحديات :

1- التحديات التي تتعلق بشخصية الشاب ومدى نموها واستعداداتها الفطرية والعقلية . حيث قد تكونُ إعاقة الشاب مثلاً (الشلل ، العمى ، الصمم ..أو أي إعاقة أخرى) أحدَ الأسباب الرئيسية التي تدفع الشاب إلى التعلم وارتقاء سلم التعليم الجامعي بنجاحٍ وتفوق ، وبالعكس قد تدفع به الإعاقة إلى محاولة الانعزال والهروب من واقعه .

2- ضعف التنشئة الاجتماعية والعلميَّة في الأسرة والمدرسة في سنوات التعليم الأولى والمتوسطة ؛ إذ تبرز أهمية الأسرة في العناية بالطفل في المراحل المبكرة من تكوّن معالم شخصيته ، حيث تزوده بثقافةٍ متكاملةٍ بالتعاون مع المدرسة طوال سنوات طفولته وشبابه مما يسهمُ في إكسابه المناعة الثقافية المستقبلية ، كما أنَّ دور التعليم الإلزامي والثانوي يبدو جلياً في إعدادِ الطالب وبناءِ شخصيته للسنوات اللاحقة ، وهذه المرحلة تعزز لدى الطالب حبَّ المعرفة الذاتية . لذلك يواجه الشاب تحديات التخلف الأسري من جهلٍ،وأميَّة،وفقر،ومرض وغيرها(كالتفكيك الأسري و...)

3- دور الجامعات في التأكيد بمناهجها وطرائق تدريسها وأهدافها على إتمامِ معالمِ الشخصية الواعية المتمثلة بأهداف أمتِّها، والمنفتحةِ على الواقع الإنساني بعيداً عن التقليد الأعمى بكافة أنماطه والمُلِمَّة بأساليب البحث العلمي ومناهجه .

4- التحدي الذي يواجهه الشاب أثناء رغبته الدراسية في اختيار كلية أو اختصاص علمي لا يتوافق و رغبة الأهل . على الرغم من أنَّ اختيار الأهل لن يجعلَهُ بارعاً في هذا المجال لأنه ربما لا يتلاءم و ميوله ورغباته ، الأمر الذي سينعكسُ مستقبلاً على مدى إبداعه في هذا المجال . فعلينا أن نؤكدَ حق الشاب في اختيار مهنةٍ واختصاصٍ مناسبٍ ، ولا ننسى أنَّ أينشتاين الذي كان كسولاً في دروس الرياضيات برع في الحساب ، ولو أننَّا قيمناه تبعاً لدراستهِ لما كنَّا تمتعنا بمعرفة شيء عن النسبية.

5- إنَّ معظم المناهج الدراسية لا تولي اهتمامات الشباب قدراً كافياً من العناية ، ولا تجيب عن الأسئلة التي تدور في رؤوسهم ، ولا تمكنّهمْ من فهم الواقع بل تقدّمُ لهم المعلومات والأفكار بأسلوب لا يصلح معه إلا الحفظ عن ظهر قلب، في حين أننّا في عصرٍ نحتاج فيه ملكات الإبداع والابتكار والقدرة على إيجاد الحلول للمشكلات التي تعترض طريقنا بشكل منطقي وواعٍ وهي ملكات يعجز نظام التعليم الجامعي بأساليبه التقليدية عن منحها للشباب.[3] وهذا يعني أنّ بعض الجامعات العربية بمناهجها ونظمها لا تؤدي هذا الدور المهم المنوط بها .

6- معظم الشباب لا يجدونَ فرص عملٍ تتلاءم و اختصاصهم الأمر الذي انعكس على استهتار الشباب بالمقررات التي يدرسونها ، إضافةً لازدياد نسب البطالة بين صفوف الشباب حيث أكد الدكتور علي بو عناقة أنَّ الإحصاءات التي تصف وضع الشباب تشيرُ إلى أنّه "ضمن 17 مليوناً من المتعطلين الحاليين عن العمل ونسبتهم 40٪ ، تقل أعمارهم عن 25 سنة ".[4]

7- عدم وجود تنسيق ثقافي بين الأجهزة التربوية وغياب التنظيمات المسؤولة عن الشباب في عدد من البلاد العربية، الأمر الذي يحرم الشباب من التعبير عن آرائه ومعاناته الحقيقية .

8- وتعد الحالة المادية لمعظم الشباب من أخطر التحديات التي تواجههم ،لأنها قد تعيق الشباب عن إكمال دراستهم الجامعية . أو دراسة الاختصاص الذي يرغبون في إحدى الجامعات الخاصة.

1.3. التحدي الاجتماعية :

وهو من أخطر التحديات الثقافية على شبابنا العربي في عصرٍ طغت فيه الثقافة الغربية خاصة الأمريكية _حتى أنَّ بعض الكتّاب ربط بين العولمة والأمركة برباط وثيق يقول برهان غليون : " العولمة تعني إذن بالضرورة الأمركة ، إذا قلنا إن للأمركة أرجحية المساهمة الأمريكية في الإنتاج

الثقافي المادي والمعنوي ..."[5] ويترافق ذلك بأنماطٍ من َالسلوك الاجتماعي الذي تفرضه بطرق مختلفة ، أبرزها مجمل ما تبثّهُ من برامجَ وأفلامٍ لا يكون مضمون مادتها الإعلامية إلا كما وصفته الدكتورة مي العبد اللّه " إنها أفلام تهدف إلى الغلو واللامنطقية ، وإلغاء العقل في فهم الشباب والعلاقات والأحداث ، ويشمل ذلك مجموعة كبيرة من الأفلام التي تجسد الخرافة ، وتعمل بذلك على تمجيد المغامرة الفردية والشعور بالعظمة وقتل الإحساس بالجماعة ." [6]

ولا ننسى أبداً أنَّها تُروّجُ للعنف والوحشية بالدرجة الأولى ، وما جرى في لبنان 2006 ، وفي فلسطين عام (2009-2008) ، وما جرى في العراق بعد الاحتلال الأمريكي له ، 2003... ولا يزال . أبرز الشواهد التي لا تخفى على أحد في مشارق الأرض . وربما لا جانب الصواب إذا قُلنا إنها تسعى لنشر ثقافة الفساد في المجتمعات ، بمعظم الأفلام والألعاب (لعبة كونترConter ، جتي ايه GTA) والبرامج التي تنتشر في البلدان العربية .

ولعلّ هذا يحول العنف الذي تحمله هذه الأفلام أو الألعاب إلى أرض الواقع وحياة الناس[7]، وقد ألمح إلى ذلك الدكتور جابر عصفور بقوله " يُنقَل العنف من مفردات اللغة إلى معطيات الواقع ، فيستبدل بالكلمة الرصاصة."[8]

4.1. التحديات التربوية والمعرفية:

ويتمثل بمظاهر عديدة من أهمها على سبيل المثال :

- إيفاد أو سفر عدد كبير من الطلاب إلى البلدان الغربية وممارسة الحياة فيها بكل مظاهرها، وتأثّرْ عدد منهم سلبياً بهذه العادات والتقاليد على حساب انحسار الثقافة العربية لديهم .

- انتشار مراكز التعليم الغربية ومؤسساته في بلادنا ، حيث تتضمن مناهجها التعليمية قدرا ًكبيراً من الثقافة الأجنبية التي تنمو على حساب الثقافة العربية مثل الجامعات الأجنبية والمدارس الأمريكية وغيرها،[9] التي تفرض بطبيعة الحال مناهجها وقيمها التربوية الملائمة لمجتمعها ، والتي قد تتناقض مع قيم المجتمع العربي أحياناً .

وقد عزا أحد الكتاب حالة الشباب الثقافية إلى الأوضاع في بعض الجامعات العربية بقوله :"فالشباب يلقون اللوم على الوقت الذي لا يكفيهم لاستذكار دروسهم فكيف يلتفتون إلى تثقيف أنفسهم ؟؟ ، وآخرون يرمون بالعتب على الجامعات كونها المعمل الحقيقي لأفكار الشباب ، حيث يرون أنَّ أغلب الكتب الجامعية اعتمد مؤلفوها على مراجع قديمة ولم تعد تتماشى مع ثقافة العصر

وعلومه". ويجب ألا يغيب عن البال أيضاً طبيعة الطلبة الذين يودون الحصول على شهادات ممهورة بطابع دولي دون عناء كبير أحياناً .

وقد انعكس ذلك سلباً على البحث العلمي وتجلى ذلك بـ :

أ- شّحُ البحوث العلمية والافتقار إلى المراكز المجهزة بالبيئات المناسبة لإنجاز مثل هذه البحوث .

ب- عدم قدرة الشاب على تحصيل المعارف الثقافية الكافية كماً ونوعاً في خضم الانفجار المعرفي .

ت- عدم قدرة جامعاتنا على مواكبة البحث العلمي والتطبيقات التكنولوجية المتقدمة ، والتي تسير بتسارع مذهل نحو مجتمع المعرفة والمعلوماتية، مما يولّدُ فجوةً واسعةً في الثقافة العلمية والتكنولوجية بين شبابنا الجامعي وشباب الغرب . ويفرض ضرورة الارتباط أو الدراسة بجامعات أجنبية لترميم النواقص العلمية التي تشكو منها كثير من الجامعات العربية . ولهذه الجامعات الأجنبية شروطها التي تتنافى أو تتناقض أحياناً مع مصالح البلاد العربية.

5.1. التحديات الإعلامية :

إن الإعلام والثقافة يتوحدان في رسالة مشتركة وقد أسهما في التداخل والتفرق وصعوبة التمييز بينهما ..." ولذلك يعدُّ التحدي الإعلامي سواء على الصعيد الداخلي أو على الصعيد الخارجي المفتاح الأول لغزو عقول الشباب في وقتنا الحالي؟! ، كما يولَد فجوة بين الجامعات وسوق العمل أيضاً . و قد يحِملُنا على تبني أفكار مزركشة يخالها الشباب أنها قيمةٌ من صلب مجتمعه و ثقافته، لذلك يذهب بعض الباحثين إلى أنَّ التغيّرَ الثقافي ليس إلا ثمرةً من ثمرات وسائل الإعلام.[10]

وتعدُّ الوسائل السمعية البصرية أكثرها خطورة ، وتجدر الإشارة هنا إلى أنَّ المشكلةَ لا تكمنُ في وسائل الإعلام نفسها ؛ إنَّما في المواد التي تقدمها وبالشكل الذي تطرحه ، وما زلت أذكر أحد تعليقات زملائي حين ألقى اللوم على الإعلام العربي الذي يسوّق للفكر الغث الضحل ، ويضربُ مثلاً قناة "زين" الفضائية التي روّجَ لها إعلامياً على أنّها محطّة الشباب العربي ، التي ستتناول قضاياهم ومشكلاتهم ، ولكنْ تبيّن أنَّ مشكلات الشباب من وجهة نظرها هي قَصّةُ الشَّعَر ونوعية الملابس ومواقع الفنانين على الإنترنت ونغمة الجوال ومجمل القول :إنّها ليست سوى قناة دعائية. فهي تستّخفُ بعقول الشباب ، وتشوه وعيهم وثقافتهم، وما الذي ستقدمه هذه المعطيات في تطور البلاد وازدهارها ؟! .

وهكذا تكون مواجهة التحدي في التقليل من الآثار السلبية للتواصل الإعلامي ، مع إمكانية الاستفادة منها في التواصل مع الآخرين وتوظيفها في خدمة الثقافة والقضايا العلمية والحياة العملية المفيدة .

6.1. أزمة الهوية والانتماء:

للهوية تعاريف عديدة، إلا أن أبرز تعريف شامل جاء على لسان المفكر السوري الدكتور علي أسعد وطفة، والذي عرّفها " بالكيان الذي يجمع بين انتماءات متكاملة. وهوية المجتمع تمنح أفراده مشاعر الأمن والاستقرار في الوقت الذي يكون فيه المجتمع متعدداً بانتماءات وفئات وجماعات عرقية أو دينية أو سياسية أو اجتماعية". [11]

وتنبع هذه الأزمة نتيجة ضعف الوعي ، وتعرضه لتيارات حضارية وثقافية مختلفة ، والانجرار وراء تقليد الآخرين الأعمى ، ففقدان الهُوية ، وضعف الثقة بثقافتنا وتقاليدنا ، يسهل انحياز الشاب نحو فكرة ما أو جماعة أو أمة معينة ، وبدلاً من أن ينتسب إلى أمة حضارية كبيرة ، يفاخر بنسبه القبلي أو الوطني أو الإثني أو العائلي ..الخ .

وبالعودة إلى موضوع الهوية والانتماء نقول: إنّ أزمة الهوية أصبحت ظاهرة عالمية، وقد مرّ كثير من الشعوب بمثل هذه الأزمة، إلا أن العولمة جاءت لتؤكد مقولة (لا وجود لهوية ثابتة في العالم) ، **مما يدل على خطورة هذه الأزمة ، فقد أظهر أحد الكتّاب أهمية الهُوية في حياة المجتمع** بقوله : "لا أخشى على أمتنا أن يضربها أعداؤها بالقنبلة الذرية ، لأنها ستفتك ببضعة ملايين من البشر ، وإنما أخشى على هوية أمتنا وحضارتها وثقافة شبابنا وترابط أسرنا وقيمنا وأنماط سلوكنا الاجتماعي من القنبلة الاجتماعية والثقافية ، التي تنذر بالانهيار الثقافي والتفسخ الاجتماعي لأمتنا". [12]

ولعلّ هذا أخطر ما تواجهه الأمة في عصرنا الراهن ، ولاأبالغ في القول : إن تجاوزها لهذا التحدي سيصنع للأمة مستقبلاً زاهراً لأنه يقرر عوامل الوجود والبقاء لها أو الموت والفناء .

2. الإعلام وتأثيره في وعي الشباب الجامعي وسلوكه :

تبدو وسائل الإعلام كالشمعة ، إذا انطفأ نورها عميت أعيننا عن رؤية الحقيقة ، وإذا بالغنا في إشعال شرارتها أو بالاقتراب منها أحرقت هوية وجودنا .

1.2. الإعلام المكتوب (الصحافة المكتوبة) :

من الملاحظ في عصرنا الحالي : أن نسبة الشباب الذين يقرؤون الصحف مثلاً قليلٌ نوعاً ما ، في السابق كانت الصحافة هي السلطة الرابعة؛ أي إنّها بعد السلطة التشريعية والتنفيذية والقضائية ،أما اليوم فليستْ أكثرَ من وسيلة ترفيهية للشباب ، لا تتعدى في الأغلب قراءة صفحة الوظائف أو الكلمات المتقاطعة ، والأهم من هذا كله صفحة الأبراج ، وفي أحسن الأحوال تصفّح بعض العناوين أوالأخبار. فيا للأسف الشديد ، كثيرٌ من شبابنا اليوم يربط قدره بسطورٍ تُكْتَبُ في جريدةٍ وقد تكونُ صحيحة أو لا ! وهناك من يبحث عما يري سماعه فقط ، فيبدأُ بالتقليب بين عدة جرائد لم يفكرْ في شرائها إلا لذلك .

أما بالنسبة للمجلاتِ ، فالأكثر رواجاً منها بين الشباب هي التي تهتمُ بنجوم الغناء والموضة أو المجلات الصفراء والأزياء والمكياج ، والهواتف المتحركة وماشابه ذلك من معطيات التكنولوجيا .. ، فترَى الشابات يُلقينَ بكلِّ ملابسهنَّ السوداء لأنَّ الموضة أزرق أو أخضر . ولن تكتفيَ مجلات الموضة بجذب الفتيات ، بل تستدرجُ بذكائها الشباب ، فتجد موديلات الشعَر الغريبة أو تلك الوشوم التي يحفرونها تقليداً منهم لفنان معين ، ولا نستغرب إن ارتدى الجميع ملابس متشابهة تقليداً لفنانة أو فنان يتصدّران أغلفة المجلات .

وهنا يأتي التحدي الأهم الملقى على عاتق الجامعات ، في توجيه شبابنا نحو المجلات العلمية والبحثية الجادة من خلال تعريفهم بأسماء هذه المجلات (كمجلة العلوم ، الباحثون ، والآداب ، أو مجلات الجامعات المحكمة..) ، والتي تنوعت اختصاصاتها لتلائم حاجات الشباب المتنوعة ، وترضي فضولهم في اكتشاف المجهول. وذلك من خلال تشجيعهم على عمل الأبحاث أو مناقشة موضوع نُشِرَ في إحدى هذه المجلات العلمية أو غيرها من المجلات العربية الجادة مما يسهم في تدعيم ثقافتهم العلمية والأدبية.

2.2. الإذاعة :

لم تعد الإذاعة وسيلة لنقل المعلومات والمعارف فقط ، بل أصبحت إحدى العوامل المؤثرة في أفكار وسلوك الشباب وفي تكوين الاتجاهات .

ومع ازدياد موجة التغريب التي يعيشها الشباب العربي كثرت المحطات الإذاعية الخالية من أي مضمون غير الاهتمام بالقشور ، وذلك ببث الأغاني الهابطة وإجراء الدردشات مع الشباب دون هدف له علاقة باهتمامات الشباب الحقيقية ، أو مقابلات مع فنانين أو فنانات مثل عمرو دياب وأليسا وهيفا ونانسي و .. وخير مثال على ذلك الإذاعات المنتشرة هذه الأيام (سترايك ، صوت الغد ، روتانا ..)، ومن

يرد أن يعرف مدى خطورة هكذا إذاعات فما عليه إلا أن يتابع حجم الاتصالات من الشباب ونوعية الحوارات التي تجري بينهم وبين المذيعين والمذيعات.

3.2. التلفاز :

يعدُّ التلفاز من أخطر وسائل الإعلام_ إذا لم يكن أخطرها_ لما له من جاذبية ولسهولة نيله وإدراكه ، ويشبع التلفاز نهم الشباب في معرفة الأحداث الجارية والتغلغل إلى ما وراء هذه الأحداث ومعرفة الكثير عن العالم والشعوب، فله أساليب عديدة تشدّ المشاهدين من الشباب ، فتراه يقدم التغيير والإثارة والتّرقب ، وتارةً يكون منفذاً للهروب من الواقع والمشكلات اليومية.

وكثيرةٌ هي البرامج الموجهة إلى هذه الفئة المهمة في مجتمعنا ، والتي تعاني تناقضات هذا العصر بين الوارد إلينا من أساليب وأفكار وبين ما يتمسك به مجتمعنا من عادات ومفاهيم. فكانت هذه البرامج هي بقعة الضوء المسلطة عليهم تحاكي أحلامهم وتطرح مشكلاتهم ، لكن هل كان فعلاً الإعلام المرئي الموجه للشباب يقوم بدورٍ مهمٍ في هذا المجال؟ وما مدى تأثير تلك البرامج على شبابنا؟. آراؤهم كانت متباينةً في هذا الموضوع ، فمنهم من يرى هذه البرامج تسهم بشكل كبير في توعية الشباب وإبراز مواهبهم ، وآخرون يرونَ أنها لا تحرّكُ ساكناً بل للإمتاع والتسلية لا أكثر.

وفيما يأتي من إحصائيات ودراسات صورة لذلك :

– " أظهرت الدراسات التي أجريت على طلاب المرحلتين الثانوية والجامعية ، أنّ الطالب الذي ينجز مرحلة التعليم الثانوي يكون قد أمضى 16 ألف ساعة أمام شاشة التلفاز مقابل 8 إلى 10 آلاف ساعة في حجرة الدراسة ، أما الطالب الجامعي فإنه يمضي 1000 ساعة سنوياً أمام التلفاز مقابل 600 ساعة في قاعة المحاضرات ". [13]

– وفي دراسة ميدانية عام 2006 أجريت على الشباب في الجامعات اللبنانية ، أظهرت النتائج ازدياد ساعات المشاهدة من ثلاث ساعات كمدة وسطية لتصبح مدة المشاهدة الوسطية لأكثر العينة من 3-6 ساعات ، فالتلفاز في النهاية برأي الكلِّ (هو أفضل وسيلة لتمضية الوقت الضائع) .[14]

وفي الدراسة السابقة نفسها بينت أنّ 66٪ من الشباب الجامعي يشاهد التلفاز بمعزل عن الآخرين وقد يحصلُ هذا باختيار منهم أو لظروف أخرى ، إلا أنّ الأمر يؤكد على خطر انفرادية المشاهدة الذي يزداد سنة بعد سنة . - وفي سورية بينت دراسة علمية قام بها مركز الدراسات والبحوث الشبابية التابع لمنظمة اتحاد شبيبة الثورة في عملية مسح وتحليل لواقع الشباب السوري

وأهم قضاياهم ومشكلاتهم وطبيعة احتياجاتهم(والتي شملت 9350شاباً وشابة بين 13إلى 35 سنة توقع حضورهم ضمن 5000 أسرة ، شباط 2006.) .

- أنّ نسبة مشاهدة التلفاز عند الشباب حسب أنواع النشاط التلفازي هي: ذكور:(٪36,4) يهتم كثيراً،(٪27,7) دائماً . إناث: (٪35,7) يهتم كثيراً،(٪34,5) دائماً.

- وهذه النسب العالية من الشباب تراجعت عندها أولويات المعرفة والإعلام لصالح تقدم التلفاز وطغيانه على ممارسات حياتهم.

ولعل أخطر ما نبهت إليه الدراسة ، هو كشفها أنّ المصادر التي يعتمد عليها الشباب في بناء تصوراتهم للمستقبل تندرج وفق الآتي : يُعد التلفاز المصدر الأول الذي يعتمد عليه الشباب دائماً في بناء تصوراتهم للمستقبل، يليه أحد الأبوين أو كلاهما في المرتبة الثانية ، ثم أحد الإخوة في المرتبة الثالثة حيث يشكّل هؤلاء بين 12٪-13 ٪ من مجموع عدد الشباب .

النسبة السابقة التي وضعت التلفاز في مقدمة مصادر المستقبل قد تبدو مؤشرَ خَطرٍ على الشباب السوري ما لم نستفد منها ، أو على الأقل ستكون فرصة نهدرها إن لم نحسنْ التعامل معها. ومن هنا نجد أنَّ التلفاز يؤثر في الشباب تبعاً للفترة الزمنية التي يقضيها في مشاهدته:

أ- التلفاز يكسب الشباب أنماطاً من السلوك الاجتماعي في حياتهم وبيئاتهم ، ويؤثر في عملية التكيف التي تقوم بها الأجهزة الأخرى كالأسرة والبيئة .

ب- يسهم التلفاز في بلورة وتغيير اتجاهات الشباب من خلال إثارة عواطفهم ، بتقديم مشاهد درامية ، رغم أن لكل شاب قابليةً خاصةً للتأثر بالتلفاز .

ت- يهيئ التلفاز الشباب للتعرف إلى أشياء كثيرة منها ما هو في محيطهم ومنها ما هو بعيد عنهم

ويترتب على ما سبق ذكره اندفاع الشباب لنهج إحدى السلوكيات التالية:

1- انعزال الشاب عن محيطه ، والهرب من ضغوط الحياة والواقع إلى التلفاز لكونه وسيلة الترفيه والترويح عن النفس لا أكثر. ولكن هذا يؤثر سلبياً في حياته الاجتماعية وقدرته على حل المشكلات التي قد تعترض طريقه .

" بل إنّ الكثير منهم قد يندفع إلى تقليد الشخصيات التي تظهر أمامه في التلفاز بطريقة مأكلها ومشربها وتسريحة شعرها وطريقة حلها للمشكلات التي تواجهها ، والتي قد تكون إيجابية أو

سلبية . بل كثيراً ما غيرت المسلسلات حتى نوعية الأسماء والألقاب التي يطلقها الشباب على أنفسهم أو تلك التي تطلق على المواليد الجدد" .[15]

2-رفض الشاب لتقاليد مجتمعه وثقافته بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، منحازاً بذلك لأفكار قد طرحت عبر مناقشات أو برامج في بعض الفضائيات العربية ،أو تبناها نتيجة متابعته لمسلسل معين، وأخص بالذكر هنا المسلسلات المدبلجة (فمثلاً دخلت المسلسلات التركية على البيئة السورية كمسلسل نور، وسنوات الضياع ، بأصوات ممثلين سوريين ، وبدبلجةٍ سورية ، حتى إنك لتخالُها من صميم البيئة السورية ؛ رغمَ أنّها تحمل من الأفكار ما يتعارض أحياناً مع عاداتنا وتقاليدنا مثل قضية الزواج غير الشرعي ، وتقبل الأبناء غير الشرعيين، والصداقة بين الشاب والفتاة وغيرها ...، و لا يخفى ما لانتشار هذه العادات من آثار ضارة بمجتمعنا) .

3- وعي الشاب لأهمية التلفاز ، والواقع الذي يعيشه ، فيتابع البرامج بانتقائية ، حتى وإن كانت برامج ترفيهية أو مسلسلات فإنَّ ما يحمله من الوعي يساعده على التأثر إيجابياً بما يشاهد ، بدلاً من التقليد الأعمى الذي لا يميز بين سيئ أو جيد .

يتضح مما تقدّم ضرورة إعادة تقييم علاقاتنا بالتلفاز، من جهة إدخاله في منظومة الأخلاق والقيم النبيلة والركون إلى أننّا بذلك نحفظ شبابنا من تأثيره ، فذلك لا يلغى بكبسة زر من جهاز التحكم، بل ما يجب فعله بحق هو تقييم طبيعة علاقاتنا مع التلفاز وتحصين النفس بالتربية والوعي كشرطين متلازمين ، فالشباب قابل لتلقي كل الرياح التي تهبُّ عليه ، وعلينا ببساطة أن نصلَ به حدَّ إدراكِ أي ريح عليه أنْ يفتحَ أبوابه ونوافذه لها .

خاصة إذا أدركنا أن الشركات الإعلامية (خاصة الغربية) تصيب هدفين برمية واحدة ،عندما تجيد استخدام التقنيات الحديثة لإنتاج مواد إعلامية لا تقيم اعتباراً للقيم الإنسانية ، ولابد من الإشارة هنا إلى البرامج التي شاهدناها ، وهي تصور لنا العفوية والحياة كما هي على الهواء مباشرة

وأخيراً برامج المسابقات التي تستخدم المرأة لتحقيق غاياتها ، حيث تظهر فيها المذيعات الجميلات لتسأل بعض الأسئلة المهمة مثل " كم بيضة يبيض الديك ؟ " ، فهي من جانب تحقق أرباحاً فلكية ومن جانب آخر توجه الضربة تلو الضربة إلى الثقافات التي تحلم أن تواجه تلك الشركات، وذلك عبر إلهاء الفئة الشبابية وانصرافهم عن الموضوعات والمشكلات الاجتماعية التي يعيشها المجتمع العربي، بما تبثه من السطحية والابتذال والتشويه عدا الذي تعرضه من برامج وأفلام الإثارة والإغراء الغريزي التي لا تتناسب مع المجتمع العربي وقيمه . " فلقد بينت دراسة شملت عينة من 50 فيلماً طويلاً أنّ 62٪ من هذه الأفلام تكرس الاهتمام بقضايا الحب والجريمة والجنس ".[16] الأمر الذي يحفز

فينا ضرورة البحث عن وسائل بديلة من أجل أن نحافظ على وجودنا ونتجنب الذوبان في عالم يلغى فيه ما نتغنى به لعشرات السنين[17]، وفي مقدمة ذلك (الهُوية) ، ولا يجافي ما قاله الكاتب آنفاً _ الحقيقةَ _ ، وقد أكدّ ذلك المفكر صادق جلال العظم بقوله " إن تخوفاً كبيراً يسود العالم مما يبدو انحداراً نحو ما هو أدنى من الشيء المدني الاجتماعي الدويلاتي (من دولة) باتجاه ولاءات ذات طابع عشائري طائفي مذهبي جهوي وإثني بالوقت ذاته ".[18]

إذا كان التلفاز يحظى بتلك الأهمية التي سبقت الإشارة إليها، فإنّ ما يشاركه التأثير في الأجيال المعاصرة الهواتف المتحركة ، وتعدُّ أحد أهمِّ حقائق الهاتف المتحرك ، أنه سهل الحمل ومتوفر في يد المستخدم معظم الوقت ، ومتاح لجميع شرائح المجتمعات بتكلفة مقبولة ، وقد انتشر انتشاراً كبيراً في كل بلدان العالم والمجتمعات على اختلاف ثقافتها ، "وبما أنه متاح للإنسان في معظم الوقت، و الرغبة في التعلم دائمةٌ ولا ترتبط بوقت محدد أو مكان بعينه . فإن هذا الجهاز يصبح من الجانب النظري وسيلة مهمة يمكن استخدامها بكفاءة لتوصيل المعرفة إلى من يحتاجها في أي وقت وفي أي مكان".[19]

ولكن في الواقع العملي ، فإنّنا نجد أنّ معظم الشباب قد أساء استعمال هذه الميزة ، فنجد أنه يستعمله لتبادل صور الفنانين والفنانات والأفلام الإباحية والنغمات الجديدة ، وهنا تبرز أهمية حماية شبابنا من أجهزة باتتْ أقربُ إليهم من كتبهم الجامعية أو أصدقائهم بل حتى من أقرب الناس إليهم ، وصارت مصدر لهو وعبث وضياع ، أكثر مما هي وسيلة نفع وفائدة ، ولم يكن ذلك إلا نتيجة غياب الوعي الذي يرشد إلى استعمال هذه الهواتف المتحركة .

4.2. الإنترنت:

نجد اليوم أن ملامح الحياة العصرية قد اختلفت عما سبق ، فمع الشبكة العنكبوتية بات العالم بين أيدينا نطول ما نشاء ونترك ما نشاء، وفي أي وقتٍ نشاء. هكذا وجد الشباب الجامعي نفسه (مقحماً) لولوج القرية الكونية بكل تفاصيلها، وبما حملته من غث وسمين وبما يناسب ولا يناسب احتياجات مجتمعية باتت مطروحة بقوة أكثر من أي زمن مضى.

وتشير الدراسات إلى أنَّ الإنترنت أصبحتْ جزءاً لا يتجزأ من الحياة اليومية للشباب ، بل غدت الوسيلة الأولى قبل التلفاز والمدرسة والأسرة في التأثير على قيمهم ومبادئهم وسلوكياتهم ، فالشباب يتعاملون اليوم مع الإنترنت في البيت والمدرسة أو الجامعة وإذا لم يتوفر ذلك ففي مقاهي الإنترنت الخاصة ، ومن جهة أخرى نلاحظ أنَّ الإنترنت تختلف عن باقي وسائل الاتصال التي عرفتها

البشرية ، حيث تتصف بالتنوع وغزارة المعلومات وبالاتصال والتحاور والنقاش عبر قاعات الدردشة ومجموعات الأخبار .

-المواقع المفضلة للشباب:

2,2 ٪ من مجموع الشباب وكان هؤلاء أكثر تفضيلاً للثقافة العلمية بالدرجة الأولى ،الثقافة الاجتماعية بالدرجة الثانية،والدراسات الإخبارية بالدرجة الثالثة ،المنتديات بالدرجة الرابعة، الألعاب بالدرجة الخامسة. بينما تتجاوز نسبة الشباب الذين يهتمون بأي موقع بمعدل مرتين إلى ثلاث مرات بالأسبوع 2,3 ٪ من المجموع. أما الشباب الذين يستخدمونه مصادفة 2,9٪ وكان هؤلاء الشباب نسبياً يعطون تفضيلاً للمواقع الإخبارية والثقافية والاجتماعية وكان الذكور أكثر اهتماماً من الإناث بجميع المواقع.

وهنا نلاحظ خطورة التأثر بالإعلانات المضرة بسلوك الشباب، كالتدخين والمخدرات وإقامة العلاقات الافتراضية مع الجنس الآخر ودخول المواقع الإباحية، وغيرها من السلوكيات التي تخل بتصرفات الشباب وشخصياتهم. فكثرة استخدام الإنترنت تؤدي إلى تعزيز الإحساس بالعزلة والانسلاخ الثقافي والحضاري والاجتماعي .

3. أهمية وعي الشباب ودور الإعلام في توجيه الوعي

يسهم الإعلام في تقديم فرص كبيرة لتقديم مادة ثقافية ومعرفية هائلة ، وهو قادر على تحريك العقول ، وإلقاء أكثر من حجر في البركة الراكدة .

ويمكن التأكيد أنّ لوسائل الإعلام دوراً محركاً في دعوة الشباب للمجابهة والقيام بمساهمة فعلية في خدمة المجتمع أو التمرد عليه بشتى الأشكال .

ما يكاد يجمع عليه المهتمون بالشأن الإعلامي أنّ الفضائيات الحديثة حظيت بحيز كبير من الاهتمام ، واستطاعت أن تفرض النمط الغربي في الشكل والمضمون _ أغلب الأحيان _ ولذلك استطاعت أن تفرض تأثيراً كبيراً في الشباب ، ويقول أحد الكتّاب : "كل الدلائل تشير إلى نجاح الإعلام القادم من الغرب أو الإعلام العربي الذي يلبس ثوب الغرب، في التوصل إلى تزاوج ناجح بين المحتوى الباهر لما يقدمونه وبين طرق العرض وتقنياتها ، ومن ضمن ذلك تسخير الموسيقى وبرامج الكمبيوتر البارعة في استحضار رؤى عصرية تتمتع بقدر كبير من الحيوية ، مما جعل هذا الإعلام محطٌ تطّلعات الشباب العربي وخلق لديه إمكانية القبول بما هو آتٍ كما هو ، وبما يتضمنه من هجوم

على ثقافتنا العربية والإتيان بمفردات ومصطلحات جديدة على حياتنا اليومية ، وهذا ما تبدو ملامحه فعلاً في أيامنا هذه من خلال نأي الشباب أنفسهم عن الإعلام العربي القريب إلى نظيره البعيد ."[20]

و تكمن أهمية الوعي فيما يلي:

1 - إن الوعي يمكننّا من إيجاد الطريق الصحيح بين أنفاق العولمة المظلمة ، ويعلّمنا كيف ننتقي زهرات العلم والمعرفة من حدائق الإعلام الشائكة ، ونفتح نوافذنا للهواء المنعش لحياتنا وشعوبنا .

2 – إن الوعي والثقافة كفيلان بتعليم الشباب من أين يستقي الأحداث والأخبار التي يعتمد عليها في ممارسة حياته اليومية ؟ وهما كفيلان بتسليح الشباب بطريقة تحليل الخبر وإخضاعه للمحاكمة العلمية والعقلية .

3 – الوعي كفيل بأن يحمي الشباب من السقوط ضحية الإعلانات الواهية والخادعة، حيث يمنحننا القدرة على رؤية جوهر الأشياء.

- خاتمة:

إن الواقع التكنولوجي الذي يعيشه شبابنا يوفّر الفرص المواتية أمام تغلغل التأثيرات السلبية للعولمة بأنساقها المختلفة (الثقافية، الاجتماعية، اللغوية ، التربوية والمعرفية)، لأن مقوّمات المناعة ضد سلبيات العولمة، ليست بالدرجة الكافية التي تقي الجسم العربي من الآفات المهلكة التي تتسبَّب فيها هذه الظاهرة العالمية المكتسحة للمواقع والمحطّمة للحواجز. ولكن العولمة بالمفهوم المعاصر ليست مجرد سيطرة وهيمنة والتحكم بالسياسة والاقتصاد فحسب، ولكنها أبعد من ذلك بكثير، فهي تمتد لتطال ثقافات الشعوب والهوية القومية الوطنية، وترمي إلى تعميم أنموذج من السلوك وأنماط أو منظومات من القيم وطرائق العيش والتدبير.

الهوامش :

[1] عبد الصبور شاهين، التحديات التي تواجه لغتنا الجميلة، مداخلة في مؤتمر: اللغة العربية إلى أين، المنظمة الإسلامية للتربية والتعليم والثقافة 2005، ص ص. 163و168

[2] فرحان إسحق أحمد، الشباب والتحديات الثقافية وطرق الوقاية والعلاج، ط1، دار الفرقان ، عمان ، 2003، ص14

[3] طحان محمد جمال، أزمات الشباب بين الواقع والطموح،البلاغ.نت ، 2000 ، 19\6\2017، على 21.30

[4] بو عناقة علي، الشباب ومشكلاته الاجتماعية في المدن الحضرية، سلسلة أطروحات الدكتوراه، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت، 2007، ص61

[5] أمين سمير وغليون برهان، ثقافة العولمة وعولمة الثقافة، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1999، ص45.

[6] العبد اللّه مي، التلفاز قضايا الاتصال في عالم متغير، دار النهضة العربية، لبنان ، 2006 ،ص258.

[7] صالح أحمد محمد، الأصولية والعنف الاجتماعي . مجلة الهلال ، القاهرة، العدد 7 ، مصر، يوليو 2009، ص 51.

[8] المرجع السابق، ص 54 .

[9] فرحان إسحق أحمد، مرجع سابق، ص14.

[10] العبد اللّه مي ، مرجع سابق، ص259.

[11] بدر مرتضى، الخليج بين أزمة الهوية وأزمة الديمقراطية . شبكة النبأ المعلوماتية 9\02 /2018 . http://www.annabaa.org/nbanews/2009/05/132.htm

[12] فرحان إسحق أحمد، مرجع سابق، ص16

[13] السمنة راوية طه، استطلاع رأي الشباب الجامعي السوري حول تحديات العولمة وأثرها على ثقافة الشباب، وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل ، معهد الخدمة الاجتماعية ، دمشق، 2003 ، ص100.

[14] العبد اللّه مي، مرجع سابق، ص259.

[15] عيسى محمد الهادي، تأثير وسائل الإعلام على علاقة الشباب، المنظمة التونسية للأسرة ، تونس، 1985 ، ص28.

[16] السمنة راوية طه، مرجع سابق، ص 99.

[17] نفس المرجع، ص100

[18] العظم جلال صادق، حوار في الانتماء والهوية، جريدة الثورة، دمشق، سورية ،العدد 14،13970\7\ 2009 ص 7

[19] السعود خالد محمد، تكنولوجيا ووسائل التعليم وفاعليتها، مكتبة المجتمع العربي، عمان، الأردن، 2008، ص342.

[20] السمنة راوية طه، مرجع سابق، ص 100.